1- التفكيكيـــة (la déconstruction)

تمهيد :

تعد التـفكيكية الحركة الأكثر جدلا في الفكر النقدي المعاصر وقد ظهرت سنة 1960 كرد فعل على البنيوية وهيمنة اللسانيات على كل حقول المعرفة ، وأصبحت منذ 1970 منهجية واستراتجية نقدية أدبية .

ويتجه التفكيك بشكل أساسي إلى نقد الطرح البنيوي ، إذ تنفي التفكيكية ثبات المعنى في منظومة النص ، وتقوم بتحليل الهوامش والفجوات والاستطرادات والتناقضات داخل النصوص ، بوصفها صياغات تسهم في الكشف عن ما وراء اللغة والتركيب .

و يعد جاك دريدا (1930-2004) رائد التفكيكية ومنظرها الأساسي في القرن العشرين ، استعمل دريدا مصطلح التفكيك (déconstruction) لأول مرة في كتابه (في علم الكتابة – la grammatologie) متأثرا في ذلك بمصطلح (التفكيك) لدى الفيلسوف الألماني هيدغر في كتابه (الكينونة و الزمان) .

وقد اختلف في ترجمة مصطلح (déconstruction) إلى العربية فترجم بالتفكيكية والتقويضية والتشريحية , والأول أكثرها تداولا والأخير أبعدها عن الدقة .

والمصطلح مضلل في دلالته المباشرة ، لكنه ثري في دلالاته الفكرية فهو في المستوى الأول يدل على التهديم والتخريب ، وهو ما يقترن عادة بالأشياء المادية .لكن المصطلح في مستواه الدلالي العميق يدل على تفكيك النصوص والنظم الفكرية ، وإعادة النظر إليها بحسب عناصرها والاستغراق فيها وصولا إلى الإلمام بالبؤر الأساسية .

النص عند التفكيكين :

– يختلف المنهج التفكيكي عن النسق السياقي لأنه يحث القارئ على استقراء المدلولات , ويعطيه حرية اللعب الكامل بها ، ويقول بمشروعية القراءة اللانهائية ، ذلك أن النص يحفل بالفجوات ، و بمناطق الصمت التي ينبغي على القارئ أن يملأها ، وهذا ما يجعله يقوم بمهمة كتابة النص ثانية .

–وهكذا تبدو القراءة التفكيكية حرة حسب كل قارئ ومرجعيته الثقافية ، واستنباطه من النص وقراءته لما خلف السطور ، وملئه للفراغات فيه ، والنص –عند التفكيكين – ليس سوى منطلق إلى قراءة حرة ، لذا يقولون : إن كل قراءة هي إساءة قراءة ، لأن القراءة التالية ستفككها لتصبح قراءة سيئة أمام تاليتها .

–وتقوم القراءة التفكيكية على استنطاق النص بالكشف عن منطق لغته ، بدلا من منطق ادعاءات الكاتب بالإشارة إلى حتمية التناقض والتعارض داخل النص .

–ويكون ذلك – حسب دريدا – بالتركيز على نواقض الكاتب في قراءة علاقة ما لم يدركها الكاتب بين ما يسيطر عليه ومالا يسيطر عليه من أنساق اللغة التي يستعملها ، وهذا ليس هجوما على الكتاب ، وإنما هو كشف عما لديهم من تناقضات مع أنفسهم , و عوامل تفكيك ذاتية في كتاباتهم , ذلك أن وضع المعرفة موضع تساؤل هو أجدى من اليقين ، و عندما يتساءل القارئ (الناقد) عن صحة مقولات الكتاب فإنه يؤدي إلى زعزعة هذه المقولات ، وبالتالي إظهار قيمتها و مصداقيتها .

–القول بلانهائية المعنى واستحالة المرجعية لأنه سلطة خارجية ، وبهذا أصبح النص مفتوحا أمام القارئ الذي يحل محل المؤلف .

–النص عند التفكيكين تعددي لا أحادي , مفتوح لا مغلق ، ويشكل لغة فريدة داخل اللغة ، إنه ليس مجرد عاكس للمعنى بقدر ما هو عالم من الدلالات , واستراتيجية النص لا تهتم بتصريحات المؤلف ولا بما يطرح النص من قضايا ، فالقراءة التفكيكية هي التي لا تقول ما أراد القول قوله بل تقول ما لم يقله القول , أي تقرأ ما لم يقرأه المؤلف ، وهذا معنى قول التفكيكين : إن النص ينطوي على فراغات فهو مبني على الغياب و الحجب الذي يتم دون قصد من المؤلف بسبب مضامين جديدة (أيديولوجية) تتسرب إلى النص .

–وهكذا فإن التفكيكية تعطي السلطة الحقيقية للقارئ لا المؤلف فهي تدعو إلى موت المؤلف وميلاد القارئ .

التفكيكية عند النقاد العرب :

يمكن تقسيم النقاد العرب في تأثرهم وتناولهم للتفكيكية إلى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى : توقفت عند أعمال دريدا ترجمة وشرحا دون الانتقال إلى التطبيق على نصوص فكرية أو ثقافية أو أدبية عربية ، وذلك لغاية نقل الفكر التفكيكي إلى المشهد النقدي العربي المعاصر عن طريق الترجمة ومن هؤلاء نذكر : جابر عصفور في ترجمته لمقالة دريدا (البنية ، العلامة ، اللعب) المنشورة في مجلة فصول سنة 1992 ، وترجم جورج أبي صالح (أفكار حول جهنم) في مجلة العرب و الفكر العالمي ، ونقلت هدى شكري عياد (الاختلاف المرجأ) عن الانجليزية سنة 1986 , كما ترجم منذر عياشي كتاب (أطياف ماركس) .

أما المجموعة الثانية : فهي التي اشتغلت على ترجمة أعمال دريدا وتبني أفكاره ونشرها مثل كاظم جهاد الذي ترجم كتاب (الكتابة والاختلاف) , كما كتب دراسة مطولة عنوانها (مدخل إلى قراءة دريدا في الفلسفة الغربية) .

كما نجد الناقد علي حرب الذي استخدم بعض المفاهيم التفكيكية في مقاربة المشروعات الفلسفية في الثقافة العربية وكشف تناقضاتها في كتابه (النص والحقيقة) وكتاب (أسئلة الحقيقية ورهانات الفكر)

ويمكن أن نذكر ضمن هذه المجموعة بعض النقاد الذين اهتموا بالقراءة التفكيكية وحاولوا تطبيقها على نصوص إبداعية عربية ، من أبرزهم : عبد الله الغذامي في كتابه (الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية) , وعبد المالك مرتاض في تطبيقاته (دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد ال خليفة) و (تحليل الخطاب السردي : معالجة تفكيكية سردية) .

أما المجموعة الثالثة فتضم من تحدث عن التفكيكية ناقدا لمنهجها ومقولاتها ومفهوماتها , ومنهم حسن حنفي وعبد العزيز حمودة .